

بستان جثسيماني والقبض على يسوع

يوحنا 14:1-18

سؤال للمناقشة: هل حدث أن دافع عنك أحدهم حين كنت متورطاً في مشكلة ما؟ وهل حدث أن دافعت عن أحدهم؟

بستان جثسيماني: مكان عصر الزيتون

دعونا نتخيّل هذا المشهد بينما نبدأ بدراسة الأصحاح الثامن عشر من إنجيل يوحنا. كان يسوع قد إنتهى من الصلاة وإنطلق مع الأحد عشر تلميذاً في الرحلة إلى بستان جثسيماني. وكان لا بدّ لهم من المرور في وادي قدرون للوصول إلى هناك. ويخبرنا المؤرّخ يوسيفوس أنّ عدد الحملان التي تقدّم خلال الفصح كان يقارب المائتي ألف حمل. وكان الدم المسفوك من تلك الحيوانات يصبّ في وادي قدرون الواقع في الجانب الشرقي من جبل الهيكل في أورشليم. وكانت أفكار الناس خلال هذه الفترة تدور حول الذبيحة والفداء. وكان كلّ ما حولهم يذكّرهم بذلك، كالدم الذي كان يسيل في وادي قدرون. وكانوا يحتفلون بالفصح دائماً عند إكمال القمر.

دعونا نتخيّل يسوع وتلاميذه بينما كانوا يسيرون في ذلك الوادي تحت نور القمر، ثمّ يصعدون إلى جبل الزيتون الواقع في الجانب الشرقي من الوادي، وثمّ يدخلون إلى البستان. ولا يذكر يوحنا إسم ذلك البستان، بينما يذكر إسمه كتاب الأناجيل الآخرين. وقد قام ر. كنت هيوغز ببعض المقارنات اللافتة بين جنة عدن وبستان جثسيماني:

- بدأ آدم الأوّل حياته في الجنة (بستان). وإنتهت حياة المسيح، آدم الأخير في البستان.
- إرتكب آدم الخطيئة في جنة عدن، أمّا مخلصنا فقد قهر الخطيئة في بستان جثسيماني.
- سقط آدم في جنة عدن، أمّا يسوع فقد غلب في بستان جثسيماني.
- إختبأ آدم في جنة عدن، أمّا يسوع فقد أظهر ذاته بكلّ شجاعة في بستان جثسيماني.
- سُحب السيف في جنة عدن، لكنّه أعيد إلى غمده في بستان جثسيماني.¹

وكان يسوع يقضي الليل مع تلاميذه في ذلك البستان، وكان يعلم في الهيكل في الصباح الباكر. ويمكن للبعض أن يسألوا لماذا لم يمكث مع لعازر ومريم ومرثا الذين كان يقع بيتهم في بيت عنيا التي تقع في الجانب الآخر لجبل الزيتون؟ وكما نعلم كانوا أصدقاء مقربين ليسوع. ربّما كان يسوع قد حاول أن يحفظهم من إدانة رجال الدين لهم. وكان يسوع قد لفت إنتباه الفريسيين ورفضوه. وكان كلّ من يرافقه يخاطر بدفع ثمن غاليّ لذلك لدرجة الإقصاء من الهيكل (يوحنا 22:9).

ويحمل جبل الزيتون هذا الإسم بسبب كثرة أشجار الزيتون التي تنمو في هذا الجانب من الهيكل. ولا بدّ أنّ

¹ R. Kent Hughes, John, That You May Believe. Preaching the Word Series. Published by Crossway. Page 414.

بستان جثسيماني كان ملكيَّة خاصَّة مسوَّرة، وكان صاحبها يعمل في عصر الزيتون ليحصل على زيت الزيتون. ولا نعلم كم كان يرتفع هذا البستان في جبل الزيتون، لكن كان يمكن رؤية الدخان المتصاعد من المذابح حيث كانت تُقدَّم الذبائح على بعد أربعمئة أو خمسمئة قدم.

ولا يخبرنا يوحنا عن الصراع الذي مرَّ به يسوع خلال الصلاة، ولذلك علينا مراجعة إنجيل لوقا لتكوين صورة متكاملة عن التفاصيل التي جرت، ثم العودة إلى إنجيل يوحنا للقراءة عن حادثة القبض على يسوع:

وَحَرَجَ وَمَضَى كَالْعَادَةِ إِلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ، وَتَبِعَهُ أَيْضًا تَلَامِيذُهُ. وَلَمَّا صَارَ إِلَى الْمَكَانِ قَالَ لَهُمْ: «صَلُّوا لِكَيْ لَا تَدْخُلُوا فِي تَجَرِبَةٍ.» وَانْفَصَلَ عَنْهُمْ نَحْوَ رَمِيَةِ حَجَرٍ وَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَلَّى قَائِلًا: «يَا أَبَتَاهُ، إِنْ شِئْتَ أَنْ تُجِيرَ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسَ. وَلَكِنْ لَيْتَكُنْ لَا إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ.» وَظَهَرَ لَهُ مَلَاكٌ مِنَ السَّمَاءِ يُقَوِّيه. وَإِذْ كَانَ فِي جَهَادٍ كَانَ يُصَلِّي بِأَشَدِّ لَجَاجَةٍ، وَصَارَ عَرْقُهُ كَقَطْرَاتٍ دَمٍ نَازِلَةٍ عَلَى الْأَرْضِ. ثُمَّ قَامَ مِنَ الصَّلَاةِ وَجَاءَ إِلَى تَلَامِيذِهِ، فَوَجَدَهُمْ نِيَامًا مِنَ الْحُزْنِ. فَقَالَ لَهُمْ: «لِمَاذَا أَنْتُمْ نِيَامُ؟ قُومُوا وَصَلُّوا لِقَلَّا تَدْخُلُوا فِي تَجَرِبَةٍ.» (لوقا 22: 39-41).

يمكننا أن نلقي نظرة على حالة مخلصنا عندما كان في بستان جثسيماني في ساعاته الأخيرة على الأرض. فالضغط الروحي الذي كان يتعرض له كان شديدًا جدًّا لدرجة أنه كان بحاجة لملاك يقوِّيه. (لوقا 22: 43).

برأيك، ما مقدار المعرفة التي كان يمتلكها يسوع من ناحية ما سيحدث؟ يمكننا أن نتكهن، لكن برأيك، أين إنصبَّ إهتمامه بالأكثر؟

لم يتفاجأ يسوع بكلِّ ما كان يحصل، وقد علم أهميَّة أن يصرف الوقت في الصلاة ولم يرواده أي فكر بالهروب أو بتجنُّب ما كان سيحصل. لقد علم أنَّ ساعته قد حانت (يوحنا 17: 1). ويمكننا أن نرى في هذا المشهد الشخصي والقريب الذي يُظهر مخلصنا في بستان جثسيماني هلعه الذي ظهر بقطرات عرقه التي كانت تتساقط كقطرات دم. وكان من الواضح أنه كان يهيِّء نفسه وتلاميذه لساعاته الأخيرة. لذلك دعونا نتطلَّع إلى أهميَّة ذلك المكان. تعني كلمة "جثسيماني" حرفيًّا مكان عصر الزيتون. وكان زيت الزيتون يُستخدم لإضاءة المصابيح. وكان لا بدَّ لنور العالم أن يمرَّ في مرحلة السحق والعصر هناك في بستان جثسيماني.

وأخبرنا يسوع أننا كأولاد له نور العالم كما أنه نور العالم (متى 5: 14). وإن كنت تريد أن تنير فمن الممكن أن تمرَّ في تجربة جثسيماني المظلمة. وستواجه هناك بخيارات روحيَّة تقوم بها، فإمَّا أن تُسلِّم إرادتك للمسيح أو أن تتمسَّك بها. وعندما نقول: "لا إرادتي بل إرادتك"، علينا أن نثق بالله خلال الرحلة وما سينتج عنها. ويمكن أن تشعر خلال هذه التجربة من الكسر والضغط بالنزعة للإستسلام لطبيعتك البشريَّة بدل الإستسلام لإرادة المسيح. وبالرغم

من أن طريق الصليب قاسٍ، وأنه يُنتج ألمًا أحيانًا، إلا أن الثمار التي تُنتج عنه كثيرة. كذلك، فهذا الطريق يقود إلى الفرح والإنصار كما أظهر لنا يسوع.

نظن أحيانًا أنه عندما ننضج روحيًا في رحلتنا المسيحية، يصبح من السهل الإستماع إلى صوت الروح. وبالرغم من أي اعتقاد أن هذا الأمر صحيح في كثير من الأحيان، لكن تمرّ أوقات حين يترك الله ابنه الناضج روحيًا ليقوم بخيارات روحية بينما يراقبه ويفرح بالإيمان الذي يُظهره. وغالبًا ما يتركنا الرب لنقوم بخياراتنا بدل أن يقول لنا ماذا يجب أن نفعل. لماذا يترك الله لنا حرية الاختيار؟ ألم تتمنى يومًا أن يظهر الأمور بشكل واضح جدًا. ويمكن للعديد منا أن يشعروا بما شعر به توما تلميذ المسيح. لقد أراد أن يؤمن، لكنه أراد أن يرى برهانًا أيضًا. فبالنسبة له الإيمان هو أن ترى الأشياء. ولم يستطع أن يؤمن أن يسوع قام من الموت إن لم ير برهانًا واضحًا حسيًا. لم يستطع توما أن يؤمن ما لم ير أثر المسامير في يدي يسوع ويضع إصبعه في مكان المسامير ويضع يده في جنبه (يوحنا 20:25). وترأف به الرب فظهر له كي يراه. **وَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لَأَنَّكَ رَأَيْتَنِي يَا تُومَا آمَنْتَ! طُوبَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَرَوْا.» (يوحنا 20:29).**

نريد أحيانًا برهانًا مرئيًا أو محسوسًا نؤسس إيماننا عليه. فنحن معتادون على هذا الأسلوب لفهم الحقائق، لكن الرب يريد أن يشحذ أحاسيسنا الروحية فتتعلم أن نتخذ قرارات مبنية على الإيمان. وهذا هو الإيمان الذي يُرضي الله. إنَّه الإيمان غير المستند على أيّة براهين. وقد اتخذ يسوع القرار التالي بالرغم من كل القوى غير المنظورة التي كانت تحاول أن تؤثر على خياراته: "لَتَكُنْ لَا إِزَادَتِي بَلْ إِزَادَتُكَ" (لوقا 42:22)

هل مرتت يومًا بتجربة مُرة تشبه الوضع في بستان جثسيماني؟ وهل نتج أمر إيجابي عن ذلك؟

المسيح يحزن حتى الموت

عندما وصلوا إلى جثسيماني، ذهب إلى موضع يبعد رمية حجر وسقط على ركبتيه وإبتدأ يصلي (لوقا 41:22). ويخبرنا متى أنه خرَّ على وجهه وهو يصلي بحرارة:

"ثُمَّ أَخَذَ مَعَهُ بُطْرُسَ وَابْنَيْ زَبْدِي، وَابْتَدَأَ يَحْزَنُ وَيَكْتَنِبُ. فَقَالَ لَهُمْ: «نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا حَتَّى الْمَوْتِ. أُمْكُثُوا هَهُنَا وَاسْهَرُوا مَعِيَ». ثُمَّ تَقَدَّمَ قَلِيلًا وَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ، وَكَانَ يُصَلِّي قَائِلًا: «يَا أَبَتَاهُ، إِنْ أَمْكَنْ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسُ، وَلَكِنْ لَيْسَ كَمَا أُرِيدُ أَنَا بَلْ كَمَا تُرِيدُ أَنْتَ" (متى 26:37-39).

تصف عبارة: **"نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا حَتَّى الْمَوْتِ"** الوضع النفسي الأعمق الذي يمكن لأي روح أن تحتمله. وقد وصف مرقس يسوع في إنجيله أنه: **"ابْتَدَأَ يَدْهَشُ وَيَكْتَنِبُ."** (مرقس 14:33). وقد طلب من تلاميذه أن يسهروا معه.

لماذا لم يستطع تلاميذ يسوع البقاء ساهرين؟ ما الذي برأيك جعل التلاميذ يغطّون في النوم عندما كان بحاجة لهم؟

كانت تدور في ذلك الوقت حرب روحيّة كما كان هناك ضغط نفسي هائل. ولا بدّ أنّهم كانوا مُتعبين جسديًا ومُرهقين نفسيًا، أو أنّهم لم يريدوا أن يواجهوا ما كان يحصل. وبرأيي يعود سبب ذلك إلى أنّهم كانوا تحت هجوم روحي ثقيل.

ويعرف لوقا يسوع كالتالي: **"وَإِذْ كَانَ فِي جِهَادٍ كَانَ يُصَلِّي بِأَشَدِّ لَجَاجَةٍ، وَصَارَ عَرْقُهُ كَقَطَرَاتِ دَمٍ نَازِلَةٍ عَلَى الْأَرْضِ."** (لوقا 22: 44). وكلمة "جهاد" المستخدمة هنا تُشير في اللغة اليونانيّة إلى شخص يخوض معركة وهو يعترّيه خوف شديد.²

ويعرّف جيم بيشوب في كتابه "اليوم الذي مات فيه المسيح" على قطرات عرقه التي كانت تتصبب كالدم بالتالي: "تُدعى هذه الحالة في المفهوم الطبي haematidrosis أي التعرّق الدموي. وهي تحصل عندما يتراكم الخوف والألم لدرجة لا يعود الإنسان قادرًا فيها على التحمّل. في تلك اللحظة، يفقد عادة المريض وعيه، وفي حال لم يحدث ذلك تتوسّع الشعيرات الدموية تحت الجلد لدرجة أنّها تنفجر عندما تلامس الغدد العرقيّة. ويتصبّب الدم مع العرق من كامل أنحاء الجسد عادة."³

وقرأت أنّ أمرًا كهذا حصل خلال الحرب العالميّة الثانية عندما كان الألمان يقصفون مدينة لندن، وقد سُمّيت هذه المعركة "بالحرب الخاطفة". وقد نتج عن القصف العنيف الذي سبّب الضغط اليومي على سكان لندن أن عددًا منهم أُصيب بالhaematidrosis. فالضغط والخوف جعلوا بعض الناس ينزفون دمًا.

ويعتقد البعض أنّ الجملة التي كتبها لوقا: **"وَصَارَ عَرْقُهُ كَقَطَرَاتِ دَمٍ نَازِلَةٍ عَلَى الْأَرْضِ"**، لا تعني حرفيًا أنّ غدد يسوع العرقيّة زفت دمًا، بل أطلقت نقاط عرق كبيرة. ويعتقدون من هذا المنطلق أنّ الضغط الذي تعرّض إليه جعله يتعرّق أكثر من المستوى الطبيعي، لكن لماذا ذُكر الدم؟ والجدير ذكره أنّه في ذلك المساء اشتدّ البرد حتّى إنّ بطرس جلس يستدفئ مع الذين قبضوا على يسوع في باحة قيافا.

ما أعنيه هو أنّ يسوع لم يتعرّق لأنّه شعر بالحرّ. ومن الممكن أن يكون قد تعرّق بسبب القوّة التي صرفها وهو يصليّ أو بسبب الخوف أو الضغط. ولو كان فعلاً قد نزل عرقه كقطرات دم لكان ثوبه إنّسخ من الدم وكان تلاميذه

² William Barclay, *The Daily Study Bible, The Gospel of Luke*, Saint Andrew Press Publishers, Page 271.

³ Jim Bishop, *The Day Christ Died*. Published by Harper San Francisco. Page 169.

رأوا ذلك. وأترك لك صديقي القارئ أي التفسيرين تختار. وإني شخصيًا أعتقد أنَّ الإنجيل يذكر كلمة الدم لأنه كان بالفعل يتعرق دمًا.

ما معنى كلمات يسوع: "لتعبر عني هذه الكأس؟" (لوقا 22:42). إلى ماذا يشير الكأس، ولماذا أرادها أن تعبر عنه؟

"إِهْضِي، اِهْضِي! قُومِي يَا أُورُشَلِيمُ الَّتِي شَرَبْتَ مِنْ يَدِ الرَّبِّ كَأْسَ غَضَبِهِ، تُفْلِ كَأْسَ التَّرْتُّجِ شَرَبْتَ. مَصَّصَتْ." (إشعياء 17:51)

يمثل الكأس صورة عن غضب الله الذي إنصبَّ على الخطيئة. والكتاب المقدس واضح جدًا بشأن أننا نستأهل الموت الروحي بسبب خطيتنا وتمردنا على الله، وبسبب الخيارات الخاطئة التي إتخذناها. ففي جنة عدن، قال الله لآدم إنه سيموت إذا أكل من شجرة معرفة الخير والشر. ولم يمت آدم جسديًا، لكنه مات روحياً إذ انفصل عن الله في اليوم الذي أكل فيه الثمرة. ووضِعَ حاجز بينه وبين الله، وبالنسبة لله هذه حالة موت. وقد كتب النبي حزقيال عن عقاب الخطيئة قائلاً: "النَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ" (حزقيال 18:4 و20). وأضاف متى الكلمات التالية: "إِنْ أَمْكَنْ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسُ" (متى 26:39). لماذا لم يكن بالإمكان عبور هذه الكأس عن يسوع؟ فنحن نعلم أنَّ "غير المستطاع عند الناس هو مستطاع لدى الله" (متى 19:26). لماذا لم تُستجب صلاة المسيح هذه؟

لماذا كان على المسيح أن يشرب كأس غضب الله؟ لماذا لم توجد وسيلة أخرى؟

لو وُجِدَت طريق أخرى للفداء، لكان الله إختارها. ولم يكن هناك أي طريق سوى أن يضحّي الله بإبنه الحبيب ويعرّضه للعار والعذاب الجسدي والنفسي الشديدين إنتهاءً بالموت الأليم على الصليب. لم يكن هناك أي حلّ آخر. وهذا ما يميّز المسيحيّة إذ إنّ الله قدّم الحلّ بنفسه. ولا نرى مخطّط النعمة هذا في أيّ من الديانات الأخرى. كان هو الطريق الوحيد، إلّا أنّه كان على الله أن يقوم بدور البديل. كان يجب أن تُقدّم الذبيحة الكاملة، وكان يسوع هو الذبيحة الكاملة الوحيدة التي يُمكن أن تكون كافية للفداء. أمّا في الديانات الأخرى، فيُعطى الإنسان لائحة من القوانين أو الخطوات ليحاول من خلالها تميم وصايا الله ونيل رضاه.

وتظهر هنا محبة الله. فهو قد خطّط لعملية الفداء. وقد قرّر أن يدفع الفدية بنفسه. وبالرغم من أنَّ الثمن كان مجانيًا، إلّا أنّه كان غاليًا. فثمن إعتاقنا من الحرية كلّف الله إبنه الذي أخذ مكاننا. وكانت الدينونة قاسية وعادلة إذ إنّ النفس التي تخطئ تموت، لكن يسوع ابن الله الذي هو بلا خطيئة كان مستعدًا أن يأخذ مكاننا نحن الخطاة ليقرّبنا من

الله. "فإن المسيح أيضاً تألم مرة واحدة من أجل الخطايا، البار من أجل الأثمة، لكي يقربنا إلى الله، مماتاً في الجسد ولكن محيى في الروح" (1 بطرس 3:18).

وكانت المرة الأولى التي تجيب فيها محبة الله بـ "كلا" لصلاة يسوع. ولم تكن هناك طريقة أخرى إلا أن يشرب الكأس للنهاية.

"وَلَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الْخَلَّاصُ. لِأَن لَيْسَ اسْمٌ آخَرُ تَحْتَ السَّمَاءِ، قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ، بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ." (أعمال الرسل 4:12).

عندما نستوعب فعلاً ما فعل الله من أجلنا، فلا بد أن تكون ردّة فعلنا الوحيدة هي تقديم محبتنا للذي أمّن لنا إعتاقنا وحرّيتنا من الخطيّة.

ما الأمر الذي كرهه المسيح فطلب من الله البديل عنه؟

أعتقد أنّ الأمر تحطّى موضوع إذلاله على أيدي الأشرار وصلبه. فما سيحصل كان أنّ المسيح سوف يُلطّخ بخطيتك وبخطيتي. ففي الصليب وضع الله عليه خطايا كل الجنس البشري مجتمعة. وبخبرنا بولس قائلاً: "لأنه جعل الذي لم يعرف (أي المسيح) خطية، خطية لاجلنا لنصير نحن بر الله فيه." (2 كورنثوس 5:21). وكان شخصه الكامل سيُلطّخ بأبشع أنواع الخطايا، وكل خطيّة إرتكبتها أنا وأنت وُضعت على يسوع. ليس فقط الخطايا التي إرتكبت في الحاضر، بل تلك التي إرتكبت في الماضي وسُترت في المستقبل. ولهذا السبب صرخ قائلاً: "إلهي، إلهي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟ (متى 27:46)". وكانت تدور حرب روحيّة في الأفق غير المنظور ضدّ يسوع. ولو كان بإستطاعتنا النظر نحو ذلك الأفق، لرأينا المعركة العظيمة التي كانت تدور هناك. لكن خلال كلّ ذلك، لم تهتز طاعة يسوع للآب. وما بدا في نظر الناس كأنّه خسارة، وحتى في نظر أقرب الناس إليه على هذه الأرض، كان في الواقع أعظم إنتصار يُمكن تحقيقه. فهذا الإنتصار كان على الخطيّة والموت.

وُلد لاعب الكريكت الإنكليزي المشهور س. ت. ستّد في عائلة ثريّة وتمتّع بالرفاهيّة في سبعينيات القرن التاسع عشر. وتلقّى أفضل العلوم التي يمكن للمال أن يقدّم، ثم إلتحق بجامعة كامبريدج حيث أصبح كابتن فريق الكريكت الإنكليزي. وكان ستّد يُعتبر الأفضل في لعبة الكريكت في إنكلترا. وكانت كلّ الأمور تعمل لمصلحته، كذلك فقد ورث إرثاً كبيراً بُعيد وفاة والده. لكن كان الله يهيء له مخططاً آخر بدل الثراء في هذا العالم. وذهب مرّة للإستماع إلى د.ل. مودي يتكلّم عن المسيح فسلمّ حياته للربّ. ثم قرّر أن يتخلّى عن ممتلكاته وثروته وينصرف إلى حقل الخدمة، حتى إنّه ذهب بمفرده إلى الصين والهند وأفريقيا. وبدا هذا القرار بالنسبة لكثيرين متسرّعاً ويتضمّن هدراً

للقدرات الفكرية والموهب. لكن، بالنسبة لستد ولسته رجال آخرين رافقوه كان يعني أنهم سيستخدمون قدراتهم إلى أبعد حدود. لقد وضعوا إراداتهم رهن مقاصد الله وأهدافه. "لتكن لا إرادتي بل إرادتك". وقد قال ستد مرة: "إن كان يسوع وهو الله مات عني، فليس هناك أية تضحية ممكن أن تكون غالية لأقدمها له." (س.ت. ستد).

هل وضعت يوماً إرادتك بين يدي الله؟ أم أن إرادتك لا تزال في يديك؟ لقد لاحظت مرّات عندما كنت أواجه الموت أيّ لست مسيطراً على يوم مماتي، بل إنَّ القرار هو في يدي يسوع! وكان بإستطاعة المسيح أن يختار الطريق الأسهل ويطلب من ملائكته المساعدة.

القبض على يسوع

دعونا نلقي نظرة على النص الوارد في إنجيل يوحنا للإطلاع على ماذا حصل في بستان جثسيماني وكيف تمّ إلقاء القبض على يسوع.

قَالَ يَسُوعُ هَذَا وَخَرَجَ مَعَ تَلَامِيذِهِ إِلَى عَبْرِ وَادِي قَدْرُونَ، حَيْثُ كَانَ بُسْتَانٌ دَخَلَهُ هُوَ وَتَلَامِيذُهُ. وَكَانَ يَهُودًا مُسَلِّمُهُ يَعْرِفُ الْمَوْضِعَ، لِأَنَّ يَسُوعَ اجْتَمَعَ هُنَاكَ كَثِيرًا مَعَ تَلَامِيذِهِ. فَأَخَذَ يَهُودًا الْجُنْدَ وَخُدَّامًا مِنْ عِنْدِ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِيسِيِّينَ، وَجَاءَ إِلَى هُنَاكَ بِمَسَاحِلَ وَمَصَابِيحَ وَسِلَاحٍ. فَخَرَجَ يَسُوعُ وَهُوَ عَالِمٌ بِكُلِّ مَا يَأْتِي عَلَيْهِ، وَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ تَطْلُبُونَ؟» أَجَابُوهُ: «يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ». قَالَ لَهُمْ: «أَنَا هُوَ». وَكَانَ يَهُودًا مُسَلِّمُهُ أَيْضًا وَاقِفًا مَعَهُمْ. فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ: «إِنِّي أَنَا هُوَ»، رَجَعُوا إِلَى الْوَرَاءِ وَسَقَطُوا عَلَى الْأَرْضِ. فَسَأَلَهُمْ أَيْضًا: «مَنْ تَطْلُبُونَ؟» فَقَالُوا: «يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ». أَجَابَ يَسُوعَ: «قَدْ قُلْتُ لَكُمْ: إِنِّي أَنَا هُوَ. فَإِنْ كُنْتُمْ تَطْلُبُونِي فَدَعُوا هَؤُلَاءِ يَذْهَبُونَ». لَيْتِمُ الْقَوْلُ الَّذِي قَالَهُ: «إِنَّ الَّذِينَ أُعْطَيْتَنِي لَمْ أَهْلِكْ مِنْهُمْ أَحَدًا.» ثُمَّ إِنَّ سِمْعَانَ بُطْرُسَ كَانَ مَعَهُ سَيْفٌ، فَاسْتَلَّهُ وَضَرَبَ عَبْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، فَقَطَعَ أُذُنَهُ الْيُمْنَى. وَكَانَ اسْمُ الْعَبْدِ مَلْحُسَ. فَقَالَ يَسُوعُ لِبُطْرُسَ: «اجْعَلْ سَيْفَكَ فِي الْغِمْدِ! الْكَأْسُ الَّتِي أَعْطَانِي الْآبُ أَلَا أَشْرُهَا؟.» ثُمَّ إِنَّ الْجُنْدَ وَالْقَائِدَ وَخُدَّامَ الْيَهُودِ قَبَضُوا عَلَى يَسُوعَ وَأَوْثَقُوهُ، وَمَضَوْا بِهِ إِلَى حَتَّانَ أَوَّلًا، لِأَنَّهُ كَانَ حَمًا قَبَائِفًا الَّذِي كَانَ رَئِيسًا لِلْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ. وَكَانَ قَبَائِفًا هُوَ الَّذِي أَشَارَ عَلَى الْيَهُودِ أَنَّهُ خَيْرٌ أَنْ يَمُوتَ إِنْسَانٌ وَاحِدٌ عَنِ الشَّعْبِ. (يوحنا 18:1-14)

كان يهوذا يعلم أين كان يسوع ينام أحياناً، ولذا أخذ بعض الجنود الرومان ورجال الدين إلى هناك. وتشير اللغة الأصلية للنص أن مجموعة الجنود تلك قديمت من قلعة أنطونيا الواقعة على الجانب الشمالي الغربي للجبل

الهيكل حيث إقامة بيلاطس والموقع العسكري الروماني. وكانت تلك المجموعة مؤلفة من أربعمئة وخمسين محاربًا، إضافة إلى الرجال الذين أرسلهم رئيس الكهنة والفريسيين. ويقدر البعض أنَّ الرقم قارب الستمئة جنديٍّ.

لما كانت ضرورة هذا العدد الكبير؟ لا بدَّ أنَّهم كانوا يتوقعون نشوب قتال وأنه لا بدَّ أن يكون عددًا آخر من تلاميذ المسيح متواجدين في البستان. وكانوا قد جلبوا معهم مصابيح ربَّما ظنَّ منهم أنَّ يسوع سيختبأ عنهم. لكنَّ يسوع لم ينتظر أن يبدأوا بالتفتيش عليه، بل أخذ المبادرة وسبقهم إلى البستان (يوحنا 18:4). وكان منشغلًا بأمر تلاميذه، ولذلك رفع صلاة في يوحنا 17 من أجل حمايتهم خلال وقت إعتقاله. وكان مسيطرًا على الوضع بأكمله. وطرح عليهم السؤال: "فَخَرَجَ يَسُوعُ وَهُوَ عَالِمٌ بِكُلِّ مَا يَأْتِي عَلَيْهِ، وَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ تَطْلُبُونَ؟» أَجَابُوهُ: «يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ». قَالَ لَهُمْ: «أَنَا هُوَ». وَكَانَ يَهُودًا مُسَلِّمُهُ أَيْضًا وَاقِفًا مَعَهُمْ. فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ: «إِنِّي أَنَا هُوَ»، رَجَعُوا إِلَى الْوَرَاءِ وَسَقَطُوا عَلَى الْأَرْضِ." (يوحنا 18:4-6).

لماذا وقع الجنود أرضًا؟

لقد أتى هؤلاء الجنود حاملين السيوف والعصي وجاهزين لأي احتمال ممكن أن يطرأ. وكان الجنود الرومانيون معروفين بشدَّة بأسهم، ولم يكن السقوط على الأرض من شيمهم. وكانوا جاهزين لكلِّ ما يمكن أن يحدث بينما ساروا نحو البستان. تحيَّل المشهد حيث يقع هذا الكمّ من الرجال أرضًا تحت تأثير حضور الرب القوي. وفي اللحظة التي تفوّه بها يسوع بإسم الله كما هو في اللغة اليونانية (egō eimi) أي "أنا هو"، سقط الجنود على الأرض.

ونجد أن يسوع يكرّر خلال إنجيل يوحنا إضافة إسم الله على صفات شخصيَّته المتعدّدة. أنا هو الباب، أنا هو الرعي الصالح، أنا هو نور العالم، أنا هو الطريق،...وأعتقد أنَّه كان بذلك يُظهر قوته الروحيَّة الصَّرف أمام هؤلاء الجنود. لقد أرادهم أن يعرفوا أنَّه يسلم نفسه لهم من تلقاء ذاته. يا له من مشهد، فمئات الرجال كانوا مرعوبين من رجل واحد وتلاميذه الأحد عشر، وقد إستخدم واحد منهم فقط سيفه في محاولة للدفاع. وسألهم يسوع مرَّتين: "من تريدون؟" ليؤكِّد لتلاميذه أنَّهم أحرار من قبضتهم. ويخبرنا يوحنا أنَّ بطرس إستل سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه: "ثُمَّ إِنَّ سِمْعَانَ بَطْرُسَ كَانَ مَعَهُ سَيْفٌ، فَاسْتَلَّهُ وَضَرَبَ عَبْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، فَقَطَّعَ أُذُنَهُ الْيُمْنَى. وَكَانَ اسْمُ الْعَبْدِ مَلْحَسَ. فَقَالَ يَسُوعُ لِبَطْرُسَ: «اجْعَلْ سَيْفَكَ فِي الْعِمْدِ! الْكَأْسُ الَّتِي أَعْطَانِي الْآبُ أَلَا أَشْرَبُهَا؟". (يوحنا 18:10-11). فكعادته، تصرّف بطرس بتهوّر وقطع أذن العبد المدعو ملخس. وكان هذا الأمر ممكن أن يكون بداية للقتال. ولماذا لم يهاجم الرجال الأربعمئة والخمسون بطرس والتلاميذ؟ بالرغم من أنَّ الإنجيل ليس واضحًا بالنسبة لذلك، إلَّا أنَّه يبدو أنَّ حضور الرب شتّت الجنود. ونجد الرب يسوع هنا من جديد مسيطرًا على الوضع ومذكّرًا بطرس أنَّ إرادته

يجب أن تُثَمِّمَ وأنه يجب أن يشرب كأس الألم من أجل خطايا الناس. لاحظ أن شفاء أذن العبد تم في الحال. ولم يحتاجوا للتفتيش عليها حتى يضعها يسوع من جديد في مكانها لتلزم هناك. وبخبرنا لوقا أن يسوع لمس أذن العبد فبرأت: فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ: «دَعُوا إِلَى هَذَا!» وَلَمَسَ أُذُنَهُ وَأَبْرَأَهَا. (لوقا 51:22). وإني أعتقد أن تلك كانت معجزة خلاقة!

يشير متى في سرده للأحداث أن يسوع قال لهم إن الأمور ستجري كالتالي: "تَظُنُّ أَيْ لَا أَسْتَطِيعُ الْآنَ أَنْ أَطْلُبَ إِلَى أَبِي فَيَقْدِمَ لِي أَكْثَرَ مِنْ اثْنَيْ عَشَرَ جَيْشًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ؟ فَكَيْفَ تُكْمَلُ الْكُتُبُ: أَنَّهُ هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ؟". (متى 26:53-54). كان المسيح مسيطراً على الوضع في كل لحظة. لم يهرب. وواجه الجنود المسلحين. وإني أؤمن أن قوة الله جعلتهم يسقطون أرضاً. وعلينا أن نشق أن قوَّات السموات ستكون رهن خدمتنا عندما نقول: "لتكن لا إرادتي، بل إرادتك." فالله يحرك الأمور عندما توجّه المجد له.

هل مررت يوماً بتجربة هدّدت حياتك؟ كيف تعاملت مع الأمر، وكيف غيّر ذلك نظرتك للحياة؟

لا نعرف أين ستقودنا الطريق عندما نقول: "لتكن إرادتك." وقد يحمل الأمر تحدياً لنا لأنه لا يمكن أن نعرف كيف سيقودنا الله أو إلى أين سيقودنا، لكننا نشعر بالسلام الذي يفوق كل إدراك عندما نضع حياتنا وإرادتنا بين يديه.

إنّ العديدين منكم يمرون بمفترق طرق يؤدّي إلى جثسيماني. والسؤال الأكبر الذي يُطرح هو ما إذا كنت ستخضع لله: هل ستخضع للأهداف الذي يضعها لحياتك؟ هل ستسلّمه إرادتك وتضع حياتك بين يديه. تخبرنا كلمة الله أن نكون: "نَاطِرِينَ إِلَى رَئِيسِ الْإِيمَانِ وَمُكْتَلِبِهِ يَسُوعَ، الَّذِي مِنْ أَجْلِ السُّرُورِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَهُ، اخْتَمَلَ الصَّلِيبَ مُسْتَهِينًا بِالْحِزْيِ، فَجَلَسَ فِي يَمِينِ عَرْشِ اللَّهِ". (عبرانيين 2:12)

صلاة: نشكرك يا رب من أجل القرار الذي إتخذته في بستان جثسيماني. لقد نظرت إلى المستقبل ورأيت كل واحد منّا، فإمتلأ قلبك بالفرح وازدادت قوّة لكي تحتمل ما كان سيحلّ بك. ساعد كل واحد منّا ليضع إرادته وحياته بين يديك ويثق بك بالتمام. آمين.

Keith Thomas

Email: keiththomas7@gmail.com

Website: www.groupbiblestudy.com